# الحديث ٩٩

## ذم الكبر والتعاظم

**عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: قال اللهُ - عزَّ وجلَّ -:**

١ «**الكِبْرِياءُ رِدائي، والعَظَمةُ إزاري،**

٢ **فمَن نازَعَني واحدًا منهما، قَذَفْتُه في النارِ**»[٣٧٦].

(٣٧٦) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وأصله في مسلم (٢٦٢٠).

### آيـــات

- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].
- ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].
- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].
- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

### الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ، وحرَص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، تُوفِّي بالمدينة سنة (٥٨هـ)[١].

### خلاصة

يروي النبيُّ ﷺ عن ربِّه عزَّ وجل أنَّ صفة الكبرياء وصفة العظمة مختصَّتان بالله عزَّ وجلَّ، فمَن اتَّصف بهما من خلقه ألقاه الله في النَّار.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ أخبر ربُّنا سبحانه وتعالى أنَّ الكبرياء والعظمة من الصفات التي انفرد بها سبحانه لنفسه، فلا يحِقُّ لمخلوقٍ أن يشاركه فيها فيتكبَّر ويتعاظم على النَّاس.

وقد صوَّر الكبرياء بالرداء، وهو الثوب الذي يُجعل على الكتفين، والعظمة بالإزار، وهو الثوب الذي يُشَد على الوسط ويستر إلى القدمين، لبيان الخصوصية؛ فكما أنَّ الإنسانَ لا يشاركه في إزاره ورِدائه أحدٌ؛ فلله المثل الأعلى، فلا ينازعه في تلك الصفاتِ منازِع، وهو من باب التمثيل لتقريب المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦][٣٧٧].

والفرقُ بين الكبرياء والعظمة: أن المتكبِّرَ يستدعي متكبَّرًا عليه؛ ولذلك لَمَّا فسَّر ﷺ الكِبْرَ، قال: «الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمطُ النَّاسِ»[٣٧٨]، أي احتقارُهُم، أما المعظِّمُ فيلاحِظ كمالَ نفْسه مِن غير ترفُّعٍ لها على غيره، وهذا التعظيمُ هو المعبَّرُ عنه بالعُجْبِ[٣٧٩].

ولهذا لمَّا كان الكبرياء أعلى من العظمة وأرفع، شبَّهه الله بالرداء، وشبَّه العظمة بالإزار، وهذا أعلى الثوب وذاك أدناه.

وقد نهى اللهُ تعالى عبادَه عن التكبُّر في الأرض والإعجاب بالنفس، فقال جل جلاله: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [الإسراء: ٣٧]، بل ذكر أنَّه لا يُوفِّقُ متكبِّرًا للهداية، فقال سبحانه: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢ فمَن شاركه في تلك الصفات بأن تكبَّر وتعظَّم على الناس، قذَفه الله في النار؛ إذ لا ينبغي لمخلوق أن يتَّصِف بهما؛ لأن صفةَ المخلوق هي التواضعُ والتذلُّلُ[٣٨٠].

وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أنَّه جعل النارَ عاقبة المتكبرين الباغين، فقال: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

---

(٣٧٧) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازِريِّ (٢/ ٣٤).

(٣٧٨) رواه مسلم (٩١).

(٣٧٩) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٢٨٦).

(٣٨٠) انظر: «معالم السنن» للخطابيِّ (٤/ ١٩٦).

# اتّباعي

١ (١) في الحديث القدسيِّ استخدام التشبيهات والتصويرات البلاغية التي توضح المعاني وتقربها، وذلك في قوله قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري». وهذا من الأساليب التي تُقرب الأفهام وتُقوي المعاني؛ فينبغي على الدعاة والوُعَّاظ والعلماء أن يستعملوا مثل تلك الأساليب البلاغية.

٢ (١) ليس من الكبرياء والعظمة أن يحرص الإنسانُ على حسنِ مظهره وتجمُّله؛ فعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخُلُ الجنَّةَ مَن كان في قلبه مِثقالُ ذرَّةٍ من كِبرٍ»، قال رجُلٌ: إن الرجُل يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حَسَنًا ونعلُه حسنة؟ قال: «إن اللهَ جميلٌ يحب الجمالَ، الكبرُ بطَرُ الحقِّ، وغَمطُ الناس»[٣٨١]؛ فالكِبرُ المنهيُّ عنه هو دفعُ الحقِّ إنكارًا وترفُّعًا، واحتقارُ الناس.

٣ (١) الكبرياء أعلى من العظمة؛ ولهذا جعل اللهُ تعالى التكبيرَ شعارًا للصَّلوات والأذان والأعياد، وكان مستحبًّا في الأمكنة العالية كالصَّفَا والمروة، وإذا علا الإنسان شرفًا أو ركب دابّةً ونحو ذلك، وبه يُطفَأ الحريق وإن عَظُم، وعند الأذان يَهرُب الشّيطان[٣٨٢].

(٣٨١) رواه مسلم (٩١).

(٣٨٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ١٩٦).

٤ (٢) إنما حرَّم اللهُ التكبُّرَ لأنَّه صفةٌ للهِ تعالى؛ فليس لمخلوقٍ صفته النقص والتذلل أن يتكبر أو يتعاظم؛ ولهذا حرَّم الشرع اتِّصافَ الإنسان بهاتين الصفتين، وجعلهما من الكبائر؛ لأن مَن ظنَّ كمال نفْسه ونسِيَ مِنَّة الله تعالى فيما خصَّه به، كان جاهلًا بنفْسه وبربِّه، وهي صفة إبليس الحاملة له على قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، وصفة فِرْعونَ الحاملةُ له على قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، فكان جزاؤهما أنهما أشدُّ أهل النار عذابًا[٣٨٣].

٥ (٢) بعض صفات الله تعالى يحبُّ أن يتصف ويتحلى به عباده، كالرحمة والمغفرة والكرم ونحو ذلك، وبعض الصفات اختص الله تعالى بها، ونهى عباده أن يتصفوا بها كالكبرياء والعظمة.

٦ (٢) على الإنسان أن يحرص على البُعد عن الكبر والعظمة؛ فإنهما من الصفات التي توجِب للعبد النَّار، قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: «مَن كانت معصيتُه في الشهوة فارجُ له التوبة، فإنَّ آدمَ - عليه السلام - عصى مُشْتَهيًا فغُفر له، فإذا كانت معصيتُه في كِبْر، فاخْشَ على صاحبه اللعنةَ؛ فإن إبليسَ عصى مُستكبرًا فلُعِن»[٣٨٤].

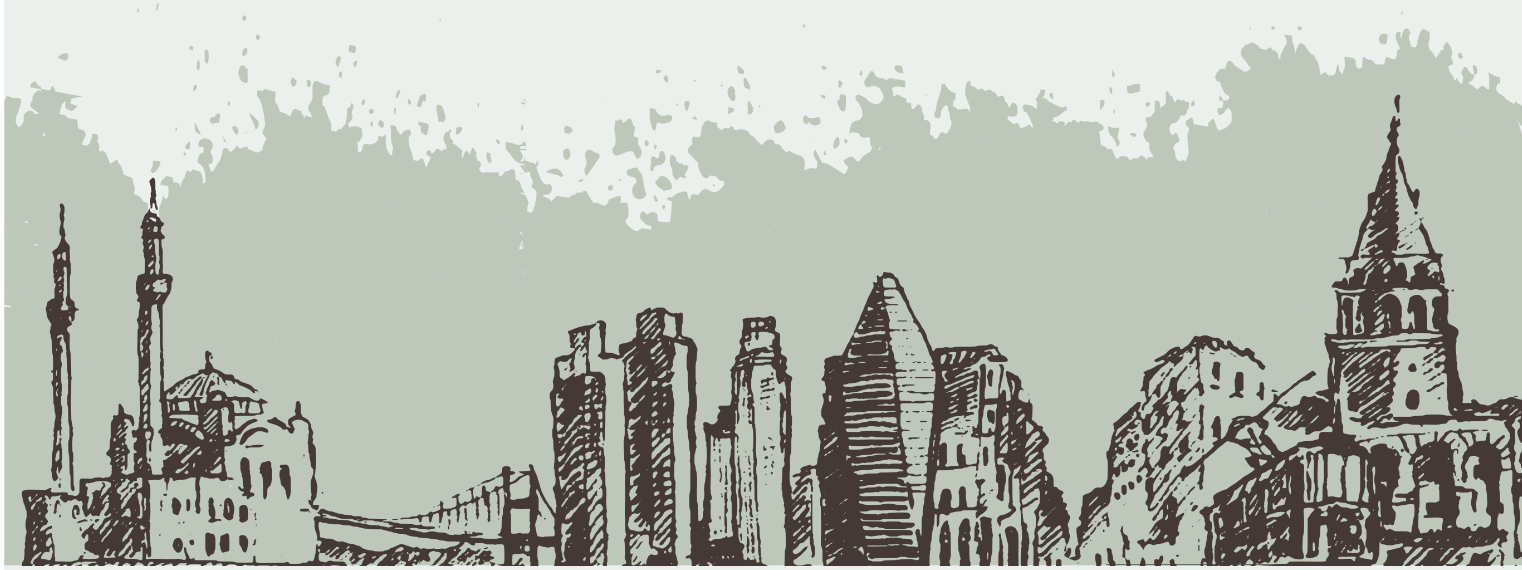

(٣٨٣) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٢٨٧).

(٣٨٤) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزِّيِّ (١١/ ١٩١).

٧ (٢) استوجَب المتكبِّرُ العقوبةَ الغليظة جزاءَ فِعله؛ ولهذا قد يُعَجِّلُ اللهُ تعالى له العقابَ في الدنيا قبل الآخرة، كما حدَث مع قارون حين خَسَف الله به الأرض، ومع فرعون حين أغرقه سبحانه. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بينما رجُل يتبختَرُ، يمشي في بُردَيْه قد أعجبته نفْسُه، فخسفَ اللهُ به الأرض، فهو يَتجلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة»(٣٨٥).

٨ (٢) لما كان المتكبِّرُ يرى نفْسه كبيرًا، فإن الله يُعاقبه بنَقيض قصده من الذُّلِّ والصَّغار والحَقارة؛ يقول ﷺ: «يُحشَر المتكبِّرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ في صور الرجال يَغشاهم الذلُّ من كل مكان»(٣٨٦).

٩ (٢) الكِبر سببُ هلاك كثير من الأمم السابقة؛ فلولا استكبارهم عن اتباع النبيِّ الذي أرسله اللهُ إليهم لَمَا هلكوا، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح: ٧]، وقال في فرعون وقومه: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، وقال في حقِّ قوم عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؛ ولهذا قرن اللهُ الحديثَ عن استكبارهم ببيان هلاكهم؛ فعلى المسلمِ أن يجتهد في طرد الكبر والعُجب عن نفسه.

١٠ (٢) لا يجوز للمؤمن أن يُنازع ربَّه في الكبرياء والعظمة، بل ينبغي له أن يُخَلِّقَ نفسَه بالتواضع، ويُجاهدها بالتواضع، وطيب الكلام، واستصغار النفس، وعدم التَّشبُّه بالجبَّارين.

١١ (٢) رأى مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله يزيدَ بن المهلبِ بنِ أبي صفرة يتبخترُ في مشيته لابسًا ثوبًا يجرُّه، فقال مُطَرِّفٌ: يا عبد الله، هذه مشية يبغضها اللهُ ورسولُه. قال يزيدُ: ألا تعرفني؟! قال: أعرفك. أوَّلُك نطفةٌ مَذِرَةٌ، وآخرك جيفةٌ قذرةٌ، وأنت بين ذلك تحمل العَذِرَة. فاعتدل وترك مِشيته(٣٨٧).

(٣٨٥) رواه البخاريُّ (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) واللفظ له.

(٣٨٦) رواه الترمذيُّ (٢٤٩٢).

(٣٨٧) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٨٤)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٥٠٥).

**قال الشاعر:**

كم جـاهلٍ متواضعٍ　　　سَــترَ التواضُـــعُ جَهْـلَهُ
ومميَّزٍ فــي عِلْمِه　　　هَــدَم التَّكَبُّرُ فَضْـــلَهُ
فَــدَعِ التكــبُّرَ　　　ما حَيِيتَ ولا تُصاحِبْ أهلَهُ
فالْكِبْرُ عَيْـبٌ للفتى　　　أَبَــــدًا يُقبِّحُ فِعْلَــــهُ

قال غيره:

يا صَــــاحِ إن الكِبْرَ خُلْقٌ سَيِّئٌ　　　هَيْهَاتَ يُوجَدُ في سوى الجُهَلاءِ
والعُجْـبُ داءٌ لا يُنـــالُ دَوَاؤه　　　حتى يُنَـالَ الخُـــلْدُ في الدُّنْيَاءِ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ للأنامِ تَفُزْ بِهِمْ　　　إنَّ التواضُـعَ شِــيمَةُ الحُكَماءِ
لَوْ أُعْجِبَ القَـمَرُ الْمُنِيرُ بنَفْسِهِ　　　لرأيتَـهُ يَهْـوِي إلى الغَبْـــرَاءِ